باول تسيلان

# الخشخاش والذاكرة



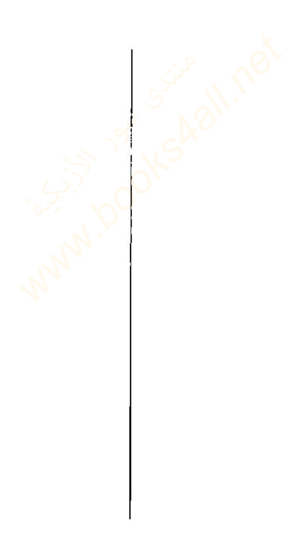
دار الجديد




باول تسيلان

# الخشخاش والذاكرة

نقله إلى العربية
وضّاح شرارة ولقمان سليم






ص. ب ٥٢٢٢ / ١١ بيروت ـ لبنان

دار الجديد

# رمل أوعية الرماد

## أغنية في الصحراء

ضُفِرَ إكليلٌ من أوراق سوداء بناحية أكرا:
هناك كنت أورد الخيل السوداء وبسيفي أهمز الموت.
وكنتُ أشربُ في أقداحٍ من خشب رماد آبار اكرا
وأكرُّ مُغتَفِراً على أنقاضِ السماء.

ذلك ان الملائكة كانت أمواتاً والسيد ضريراً بناحية أكرا،
وليس مَنْ يَحْرُسُ لي نَوْمَ مَنْ مضوا آمنين.
انهالت الضربات على القمر، زُهَيْرَةِ ناحية أكرا:
على نحو الأشواك تُزهر أيدٍ صاديةُ الخواتم.

اذن عليَّ أن أنحني في آخر الأمر من أجل القبلة، إذ يُصَلُّونَ بأكرا.
آه! فاسداً كان درع الليل، فالدم يَنْقُطُ خَلَلَ المغالق.
هكذا كنتُ أخاها الباسم، المَلَكَ الحديدي بأكرا.
هكذا لَمَّا أَزَلْ أتلو اسمها وأُحِسُّ النارَ في خديَّ.

جسمك في الليل يتأدّم من حمى إلـهية:
يُلَوِّح فمي بالمشاعل فوق خدّيك.
يُحرَم النوم من لم تغنِّه أغانيهم.
الثلج ملء اليد، أتيت إليك،

وحائراً مثلما تَحَوَّلَ عيناك إلى الزرقة على مدار
الساعات. (قمرُ ذلك الوقتِ أكثرُ استدارة.)
المعجزة يغمرها النشيج في الخيم الفارغة،
إناء الأحلام مجلَّد ـ وبعدُ ماذا؟

تفكَّري: من البيلسانة تدلت ورقة فاحمة ـ
الأمارة البديعة على دم الكأس.

لا من أجل شيء ترسمُ القلوبَ على الشباك:
أميرُ الصمت
يجنِّد الرجالَ، تحت في فناء الحصن.
على الشجرة يرفع لواءه ـ ورقةٌ تعروها الزرقة إذ يأتي الخريف؛
يَقسِم سنبلةَ الشجن في جيشه وأزهارَ الزمن؛
مشكولَ الشعر بالعصافير يصعد ليرمي السيوف في القاع.

لا من أجل شيء ترسم قلوبا على الشباك: ثمة بين المقاتلة إله
ملتفع بالمعطف الذي سقط في ماضي الأيام عن كتفيك، على الدرج، ليلاً،
ذاك اليوم، إذ شبت النيران في الحصن، إذ تكلمتِ كما يتكلم الرجال: حبيبتي..
لا يعرف شيئاً عن المعطف ولم يستعطِ النجمة وهذه الورقة في الريح يتبعها.
«أيتها السنبلة»، توهم أنه يسمع، «يا وردة الزمن».

## مــاريــان

لا لَيْلَك في شعرك، وجهُك من مرآة.
من عين إلى اختها تمر الغيمة كما تروح سدوم إلى بابل:
مثل خميلة تُعرّي البرجَ وتعصف في دغل الكبريت.

فيبرق برق عند فمك ــ هذه الهاوية من بقية الكمان.
الثلجي الأسنان، يُمِرُّ القوس: جَرْس القصب هو الأجمل!

أيتها الحبيبة، أنت القصب أيضاً ونحن كلنا المطر؛
جسمك نبيذ فريد حيث عشرةً عشرةً نستقي؛
قلبك قارب على صفحة الزبد، تأخذه مجاذيفنا إلى الليل؛
يا ابريقاً لازوردياً، هكذا تحجلين خفيفة فوقنا ونحن نيام...

أمام الخيمة يمر موكب المائة ونحن نوسدك الثرى تصحبك الأنخاب.
على أضرحة العالم ترن الآن نقود الأحلام القاسية.

# نــور الشحــم

الرهبان ذوو الأصابـع الشَّعِرة فتحوا الكتاب: إنه أيلول.
يرمي جازون الآنَ بالثلـج على البذار المتفطر.
أعطتك الغابةُ طوقاً من أيدٍ وميتاً تفشـخ فوق الحبل.
قُسِمت لشعرك زرقةٌ أقوى، وكلامي على الحب.
كلامي على الصَدَف والسحابة الخفيفة، يتفتق قاربٌ في المطر.
مهر صغير يهرب على أصابـع تتصفـح ـ
بغتة يشرع الباب أسود، أُغني:
كيف قضينا العمر هنا؟

اليد مليئة بالأوقات، هكذا جئتِ إليّ ــ قلت:
شعركِ ليس بنيا.
ومن غير جهد وضعته في ميزان الآلامِ فرجحت كفَّتُه كفَّتي...

يجيئون إليك على سفن، فيحمِّلون شَعْرك، ويسومونه في أسواق الملذات ــ
تبتسمين لي من تحت، فأبكي لك من الكفة التي شالت.
أبكي: ليس لشعرك قتام، يَهِبُ شعرُك ماءَ البحار وتَهبين إليه حلقات معقودة...
تهمسين: انهم يملأون العالم بي وأنا أبقى درباً فاغرا إلى قلبك:
تقولين: خذ إليك ورقة السنوات ــ
آن أن تأتي وتقبلني!



أوراق السنوات بنيَّة، شعركِ ليس بنياً.

# نصف ليل

نصف ليل. وخناجر الحلم المغروسة في العيون البارقة.
لا تصرخ ألماً: تطفو السحب مثل القمصان.
سجادةً من حرير، هكذا شُدَّت بيننا، ليُرقص عليها بين مبهم ومبهم.
نحتوا لنا الناي الأسود في خشب حي، ها هي الراقصة تدخل.
تشك في عيوننا أصابع نَسْجُها الزبدُ:
هل من يرغب في البكاء بعد هنا؟
لا أحد، لا: وبفتلة تبتعد مشرقة ويدوي الصنـج الناري.
تلقي علينا بخواتم فنتلقفها بخناجرنا وهي محلقة.
هكذا نُزَوَّج؟ يرن شبه نثار الزجاج هذا الذي أتعرَّفُه من جديد:
لم تموتي بموت بنفسجي.

## شعرك على البحر

شعرك كذلك يطفو على البحر مـع العرعر الذهبـي.
معه يغدو الشَّعْر أبيض، ثم أصبغُه بأزرق زرقة الحجر:
لون المدينة حيث سقت آخر المطاف إلى الجنوب...
بالقلوس كبلوني وإلى كل قلس شدوا شراعاً
وأفواههم الضبابية بصقت عليَّ وغنَّت:
«خُضِ البحر إلى الضفة الأخرى!»
وعلى رغم أنني زورق، صوَّرت أجنحتي باللون القرمزي
وأطلَـعَ رغائي ريحاً فأبحرتُ قبل نومهم.
خصلاتك المعقودة، يقتضي أن أصبغها بالأحمر الآن. ولئن كنت أحبها بزرقة الحجر:
آه عيون المدينة حيث سقطت وسقت إلى الجنوب!
مـع العرعر الذهبـي شعرك كذلك يطفو على البحر.

أيتها الحورة أوراقك تلتمع بيضاء في الظلمات.
لم يقيِّض لشعر أمي أن يبيض.

أوكرانيا خضراء مثل هندباء.
أمي الشديدة الشقرة لم تعد.

يا سحاباً، أتتحيَّر هنا، عند الآبار؟
أمي الرقيقة تبكي الناس كلهم.

يا نجمة مدورة، تشبكين أشرطة الذهب.
بالرصاص جُرح قلب أمي.

يا باباً من سنديان مَنْ أخرجك مِنْ مصراعيك؟
أمي الحنون لا تقدر أن تأتي.

## مَــرْمَــدَة

عصفور مهاجر، الحربة، منذ زمن طويل جازت السور،
أعلى القلبِ الغصنُ الأبيض من قَبْل والبحرُ فوقنا،
تورق نجماتُ الظهرِ القيعانَ الحَزِنَة ـ
خضرة من غير سُم كالعين التي فَتَحتها في الموت . . .

نجوِّف أيدينا لتستقبل الشلال:
ماء المواضـع التي يَرِدُها الليل، حيث الخنجر لا يُبَيِّت لأحد.
ذلك أنك كنت تغني، وكنّا نحُوك حاجزاً في الضباب:
ربما يأتي جلاد بعدُ ويخفق قلبٌ منا، من جديد:
ربما برجٌ يوشك يتدحرج علينا بعدُ وتُرفـع مشنقة وسط صرخات الاغتباط:
ربما لحية تشوه سحنتنا وشعورُهم الشقراء يصبغها الأحمر . . .

الغصن أعلى القلبِ شائبة الأبيض، البحرُ فوقنا.

## سِـرّ العـرعـر

تحت مُنْعَقَدِ السيوف ينظر القلبُ الأخضرُ بخضرة ورقة الظلال إلى نفسه.
الأنصال جاهزة: مَنْ آن الموت لا يتمهَّل إزاء المرايا؟
ذلك أن الشجن الحي يُدارُ به هنا كذلك في أباريق ملأى:
يكفهر مزهراً وهو يعلو قبل أن يشربوا وكأنه ليس ماءً،
كأنه لؤلؤية هنا، تستخبر عن أحوال عشق أكثر قتاماً،
عن زغب فراش أسود، عن شعور أثقل...

إنما ليس هنا ما يُخشى إلا برق الحديد،
وإن ارتفـع شيء هنا والتمـع، فليكن سيفاً.
لن تُفْرَغ الأباريقُ إلا على المائدة، لأننا نحن مُضيفو المرايا:
لينشطِر ابريقٌ حيث نحن بخضرة الأوراق!

## رمل أوعية الرماد

بيتُ النسيان بخضرة العَطَن.
حيال كل باب مشرعٍ على الريح تغشى الزرقة شاعركِ المقطوعَ الرأس.
من أجلك يقرع طبلة الطحلب والعانَةِ المريرة:
وبإصبع قدمه المتقرِّحة يرسم حاجبَك على الرمل.
يرسمه أطولَ مما كان، وأحمرَ شفتيك.
تملأين أوعية الرماد هنا، وتُطعمين قلبك.

## اللـواء الأخيـر

تُصطاد طرائدُ بلون الماء في الثغور المظلمة.
شُدَّ عليك القناع إذ ذاك ولوِّن جفونك بالأخضر.
على طاولات الأبنوس تُقَدَّم الجَفْنَةُ ينعس فيها الرصاص:
هنا يحبحب الخمر بين الربيع والربيـع، لفرط انقباض السنة،
ولفرط ما هي محرقة جائزة هؤلاء الصيادين ـ وردة الغريب:
لحيتك الهاذية، يا لواء الأرومة البَطَّال.

غيوم وعـواء مكتوم: انهم يمتطون الجنون في العرعر!
يرمون مثل الصيادين شباكهم على خُلَّب النيران الهاربة والزفرات:
يطوقون التيجان بحبل ويدعون إلى الرقص:
ويغسلون القرون في النبـع ـ على ما تعلَّموا فنون التأخيذ.

سميكٌ ما لبستَه معطفاً، وهل يستر الضوء؟
يُطيفون طواف النومِ بالجذوع، مثلما يهبون الحلم.
يفتلون القلوبَ إلى السماء، ورصاصاتِ الجنون:
أيها الشَّعر بلون الماء، يا رايتنا على البرج!

تَصِرُّ أحذيةٌ من حديد في بستان الكرز.
آتيا من الخوذات يزبد الصيفُ لكِ. العصفور الفاحم
يرسم صورته على أبواب السماء بريشة من ألْماس.

حاسرَ الرأس يطلـع الفارس على دغل الأوراق،
يحمل ترسُه ابتسامتك ضوءَ فجر،
مخيطةً إلى كفن العدو الفولاذي.
وُعدت بحديقة الحالمين،
وسيوفُه يُبقيها مسلولةً لكي تعرِّش الوردة عليها...

ويجيء حافي القدمين متخللاً الهواء، من يشبهكِ أقرب شَبَه:
نعلا الحديد معقودان إلى يدين ضعيفتين.
نام عن الموقعة وعن الصيف.
حبَّةُ الكرز تدمى من أجله.

## الـوليمــة

لِيُشْربْ حتى الثمالة ليلُ الجرار تحت عارضة الابتلاء العالية،
لتُحرثْ العتبة بالأسنان، ليُبذرِ الغضب المباغتُ قبل الغد:
ذلك أن الطحلب يتصل نباته السريع قبل مجيء أهل الطاحون إلى عندنا
ليجدوا حباً ناعماً لدولابه البطيء. . .

تحت السماوات السامة سنابلُ أكثر صفرة،
يسام الحلم على نحو مختلف عن هنا، حيث نلعب اللذةَ بالزهر،
هنا حيث نبيع النسيان بالأعاجيب غَلَساً،
حيث حَقُّ الشيء ساعةٌ لا غير، حيث ما من شيء بمنأى من بصقاتنا نحن المُجَّان
وحيث يُرمى بكل شيء صناديقَ زاهيةً في ماء النوافذ النَّهم:
فينفجر في طريق البشر. لمجد الغيوم!

تسربلوا إذ ذاك بالمعاطف، واعتلوا معي الطاولات:
كيف نومنا بعد ان لم يكن وقوفاً بين الكؤوس؟
لمن نشرب الأحلام أنخاباً بَعْدُ إن لم يكن للدولاب البطيء؟

## عين قاتمة في أيلول

وقتٌ لابسٌ الحجر. وخُصَل الألم المعقودة
تسيل ممرِعةً حول وجه الأرض،
التفاحة السكري، أدمها نَفَسٌ
بيانٍ جاحد: جميل وممتنع من لعبتهم
التي يلعبون في الظل الفاسد
يلقيه آتيهم.

شجرة الكستناء مفتحة الأكمام مرة أخرى:
أمارة على الرجاء الضعيف الطالع
بأن ترجع أوريون قريباً: جَيَشانُ
العميانِ المُنجَّم، أصدقاءِ السماء
يدعوها إلى الذروة.

من غير خمار على أبواب الرؤيا
عينٌ منفردةً تنازل
ما يحدث كل يوم،
يكفيها علمها به:
على النافذة إلى الشرق
يظهر لها ليلاً
الأفَاقُ شخصُ المشاعر الصغير.

في ماء عينها تَغمدُ السيفَ.

# حجـر البحـر

قلب عالمنا الأبيض، من غير حرب أضعناه الآن إذ تصفرّ ورقةُ الذرة:
كُبْكُبَةً مستديرة، أفلت من أيدينا بيسر.
فبقي لنا أن نغزل الصوف الجديد، صوف السبات الأحمر على جدث الحلم المترب:
بَطُلَ هذا قلباً، إلا أنه كان فَرْعَ الحجر في القيعان،
زينةُ الجبين الفقيرة تُديم النظر في المحارات والأمواج.

قد ترفعه على أبواب هذه المدينة إرادةٌ ليلية في الهواء،
تفتح عينَه الشرقيةَ على البيت حيث اضطجاعنا،
سوادُ البحر في الفم وزنبقات هولندا في الشَّعْر.
إنـهـم فـي الـمـقـدمـة ويـحـمـلون الـحـراب كـمـا حـمـلنـا الـحـلم،
هكذا أفلت منا،

قلبُ عالمنا الأبيض. هكذا أحاط العرف رأسه: صوف غريب
وجميل في موضـع القلب.

أيتها الخفقات، جاءت وراحت! في المتناهي تضطرب الأشرعة.

## ذكرى من فرنسا

لنفكر معاً: سماء باريس، العُصْفُر. . .
ابتعنا قلوباً من بائعات الورود
كانت زرقاء وتتفتح في الماء.
أخذت تُمطِر في حجرتنا
فما عتم أن جاء جارنا، السيد الحلم، وهو امرؤ طيب نحيل.
لعبنا ورقاً، خسرتُ حدقةَ عينيّ:
أعرتِني شعركِ، خسرته، ربح علينا.
من الباب خرج، على عُقبيه الشتاء.
كنا ميتين وطلقاً نَفَسُنا.

## أغنية سيدة في الظل

إذ تقبل الصامته وتدحرج رأس الزنبقات:
من يربح؟
من يخسر؟
من يروح إلى الشباك؟
من يتلفظ باسمها مبتدئاً؟

واحد يحمل شَعْري.
يحمله في يديه كما يُحْمل الموتى.
يحمله كما حملت السماء شَعْري عامَ حبي.
يحمله على هذا النحو تيهاً.

هذا يربح.
هذا لا يخسر.
هذا لا يروح إلى الشباك.
هذا لا يتلفظ باسمها.

واحد عنده عيناي.
هما له منذ أن ارتدَّت البوابات.
يتختّم بها في إصبعه.
يتختم بها مثل متع ونثار يواقيت:
كان أخي بَعْدُ في الخريف؛
ها إنه يحصي النهارات والليالي.

هذا يربـح .

هذا لا يخسر.

هذا لا يروح إلى الشباك .

هذا يتلفظ باسمها آخراً.

واحد عنده مقالي .

انه يتأبطه مثل صرة .

يحمله صُنْعَ ساعة الحائط بأدهى أوقاتها .

ينقِّله بين العتبات، لا يرميه بعيداً.

هذا يربـح .

هذا يخسر.

هذا يروح إلى الشباك .

هذا يتلفظ باسمها مبتدئاً.

هذا سوف يُقطـع رأسه مـع الزنبقات .

## شعاع ليل

شَعْر حبي المسائي كان الأشهبَ لهبُه:
أُرسل له تابوتاً من الخشب الأكثر خفة.
يطويه الموج مثل فراش أحلامنا بروما.
مثلي يضع لمة بيضاء ويتكلم بصوت أجش:
يتكلم مثلي حين أدع القلوب تدخل.
يعرف أغنية حب فرنسية، كنت أغنيها في الخريف،
آن كنت أمكث للرحلة في بلاد اللَّبث، وأكتب الرسائل إلى الصباح.

التابوت قارب جميل، إذ يقطَع في خشب المشاعر.
كنت أنا أيضاً أسبح معه فيسوقنا الدم سياقته، وأنا كنت أفتى من عينيك.
الآن أنت فتية مثل عصفور ميت، في ثلج آذار،
الآن يأتي إليك ويغني أغنيته الفرنسية.
أنتما خفيفان: تنامان ربيعِي إلى آخره.
أنا أخفّ:
أغنّي أمام الغرباء.

## السنوات منك إليَّ

مرة أخرى بكيتُ فتجعَّد شعرك.
من زرقة عينيك تبسطين مائدة عشقنا:
فراشاً بين الصيف والخريف
نشرب ما عَصَرَه واحد ليس أنا ولا أنت ولا ثالث:
نرشف كأساً أخيرة فارغة.

نتراءى في مرايا البحر العميق ونتبادل الصحون على عجل:
الليل هو الليل، مقدمُه صبحاً،
لصيقاً بكِ يمددني.

## مديح النائي

عند نبع عينيك
تعيش شباك الصيادين في المياه المجنونة.
عند نبع عينيك
يفي البحر بوعده.

أرمي هنا
قلبا عاش بين البشر،
أرمي أرضاً ثيابي ووميضَ قَسَم:

أَحلكُ مني في الحلك، أنا الأعرى.
أنا الخائن على أمانة.
أنا أنت إذ أنا أنا.

عند نبع عينيك
أُختَطَفُ وأحلمُ بالأسلاب.

شبكةٌ صادت شبكةً
نفترق متعانقين.

عند نبع عينيك
يخنق مشنوقٌ حبلَه.

## الحيـاة كلهـا

شُموسُ زوالِ النومِ زرقاء مثل شعركِ في الهزيـع قبل النهار.
شعرك أيضاً في عَجَلَةٍ من نباته مثل العشب على قبر الطير.
نَضْفِرُ شعرك أيضاً في لعبنا، كالحلم الذي نلعبه على سفن الملذات.
عند صخور الزمن الطبشورية تتلقاه الخناجرُ أيضاً.

شموس النوم العميق أكثر زرقة: لم تُضْفَرْ هذه الصفيرة إلاّ مرَّة:
كنتُ ألبث مثل ريحِ ليلٍ في كنف أختك المَسُوم؛
كان شعرك يتدلى على الشجرة فوقنا، لكنك لم تكوني هنا.
كُنَّا العالَم وكنت فِسْلاً قُبالة الأبواب.

شموسُ الموت بيضاء كشعر طفلنا:
خارج المياه العالية ارتفـع حين نصبت خيمة على الهضـبة.
يسلّ علينا سكين الهناء ذا العينين المطفأتين.

## متأخراً وعميقاً

رديئةً مثل خطبة مذهبة، تبتديء هذه الليلة.
نأكل تفاح البكماء.
صِنْعُنا مما يؤثر الواحد أن يوكِلَ به طالَعه؛
نحن هنا وقوفاً تحت خريف الزيزفون، مثل أحمر الرايات المستغرق،
مثل مضيفي الجنوب الحارقين.
نقسم بالمسيح الجديد أن نجمع الغبار إلى الغبار،
الطيورَ إلى الحذاء البادي،
قَلْبَنا إلى ثَنيَّة درجاتٍ في الماء.
نقسم للعالم أيْمان الرمل المقدسة،
نقسم طوعاً.
نقسم جهراً من سطوح النوم الخالية من الحلم،
ونُلوِّح بشعور الزمن البيضاء...

يصرخون: انكم تجدِّفون!

عندنا عِلْم ذلك منذ دهر
عندنا علم ذلك منذ دهر. وبعد ماذا؟
انكم تطحنون دقيق الوعد الأبيض في طواحين الموت،
وتعرضونه على إخوتنا وأخواتنا —

نلوِّح بشعور الزمن البيضاء.

تـبهوننا: إنكم تجدفون!
ونحن عندنا علم ذلك،
لنؤخذ بالاثم.
لنؤخذ بإثم كل النذور،
بالبحر المائـج،
بسعير الإنكار الحارق،
بنهارِ قلب الليل،
بما لم يكن بعد!

ليأتِ الرجلُ الخارجُ من القبر.

## كورونا

يلتهم الخريف ورقته في يدي: فنحن صديقان.
من الجوز الذي نكسر نستخرج الزمن ونعلمه الدرْج.
فيعود الزمان إلى أصدافه.

انه الأحد في المرآة،
انه النوم في الحلم،
الفم يقول الصدق.

تروح عيني عالياً إلى حياء صاحبتي:
فينظر واحدنا إلى الآخر،
نقول حروفاً قاتمة،
نتجامع جماع الخشخاش والذاكرة،
ننام نوم النبيذ في المحارات،
نوم البحر في شعاع القمر الدامي.

نقف ههنا متعانِقَيْن بإزاء الشباك، إنهم ينظرون إلينا من الطريق:
آن أوان الجهر!
آن للحجر أن يرضى بالإزهار،
لقلب أن يدق للقلق.
آن أوان الآن.

آن.

# إيقاع الموت الهارب

## حليب الفجر الأسود

حليبُ الفجرِ الأسودُ نشربه العشية
نشربه ضَحْوَةً وصُبْحاً نشربه
نَعُبُّ نَعُبُّ
نحفر في الفضاء قبراً لا يضيق على مُتَوَسِّدِه.
ينزل رجلٌ الدار يُلاعب الثعابين يكتب
يكتب إذ يقدم الغروب الحالك على ألمانيا شعرك الذهبي مرغريت
يكتب هذا ويروح إلى بابه والأنجم تُزْبِد يَصْفِر بضواريه
يصفر بيهوده ويحفر قبراً في التراب
يأمرنا اعزفوا الآن للرقص

يا حليبَ الفجرِ الأسودَ نشربك ليلا
نشربك ضَحْوَةً وصُبحاً نشربك العشية
نَعُبُّ نَعُبُّ
ينزل رجل الدار يُلاعب الثعابين يكتب
يكتب إذ يقدمِ الغروب الحالك على ألمانيا شعرك الذهبي مرغريت
شعرك الرمادي شولميت نحفر في الفضاء قبراً لا يضيق على مُتَوَسِّدِه

يصرخ احفروا قبراً وأبعِدوا الحفرَ يا هؤلاء ويا أولئك غنّوا واعزفوا
من مِنْطَقَتِه يستل الحديد ويشهره عيناه زرقاوان
المعاول في الأرض أبعد يا هؤلاء ويا أولئك اعزفوا اعزفوا للرقص

يا حليبَ الفجرِ الأسودَ نشربك ليلاً
نشربك ضَحْوَةً وصُبْحاً نشربك في العشية
نَعُبُّ نَعُبُّ
ينزل رجل الدار شعرك الذهبي مرغريت
شعرك الرمادي شولميت يلعب مع الثعابين



يصرخ أرفقوا في عزف الموتِ الموتُ أستاذ قادم من ألمانيا
يصرخ ليكن عزفكم على الكمان أقتم
فتصّاعَدْنَ إذ ذاك دخاناً في الفضاء
ويكون لكنَّ قبر في ثنيَّة الغيمات فلا يضيق على مُتَوَسِّدِه

يا حليبَ الفجرِ الأسودَ نشربك ليلاً
نشربك ضَحْوَةً الموتُ أستاذُ قادم من المانيا
نشربك في العشية وصبحاً نَعُبُّ نَعُبُّ
الموت أستاذ قادم من ألمانيا عينه زرقاء
يرميك بطلقة من رصاص محكمة يرميك
ينزل رجلٌ الدارَ شعرك الذهبـي مرغريت
يُفْلِتُ علينا ضواريه يَهِبُنا قبراً في الفضاء
يُلاعب الثعابين وتأخذه الرؤى الموتُ سيدٌ من ألمانيا

شعرك الذهبـي مرغريت
شعرك الرمادي شولميت

# تنكُّب الضوء

## في الرحلة

ثمة ساعة تُشيِّعُ الغبارَ لك موكباً،
تحيل منزلك بباريس مُضَحّى ليديك،
تحيل عينك السوداء، أكثر عينٍ سواداً.

ثمة ضيعةٌ رُبط فيها خيل لقلبك.
يريد شعرُك أن يطير حين تذهب ـ وهو منهيّ عنه.
المتخلفون يلوِّحون بلائحة الوداع لا يدرون من الأمر شيئاً.

## في مصر

كلِّم عينَ الغريبة وقل: كوني الماء.
اللواتي تعلم انهن في الماء اطلبهن في عين الغريبة.
نادهن ليخرجن من الماء: راعوث! نعمي! مريام!
اكسوهن بالحلى إذ تسكن إلى جنب الغريبة.
اكسوهن حلية شعور الغريبة السحابية.
قل لراعوث ولمريام ولنعمي:
أرأيتن: إني نائم جنبها!
أكس الغريبة جنبك أفخر الكسوات.
أكسوها ألمَ راعوث ومريام ونعمي.
كلِّم الغريبة وقل:
أرأيتن، إني كنت أنام إلى جنبهن.

## في قرن الضباب

فمٌ في المرآة المحجوبة،
ركبة عند عمود الكِبَر،
يدٌ وحديدُ سجنٍ:

انتسبي يا دياجير،
تلفظي باسمي،
خذيني إليه.

مِنَ الْأَزرق الباحثِ بَعْدُ عن عينه أنا أول الشاربين.
أشرب من آثار خطوك، وأرى:
تمرّين بين أصابعي، أيتها اللؤلؤة، وتكبرين.
تكبرين مثل كل المنسيين.
تمرّين: بَرَدُ الشجن الأسود
يسقط في ثوب زاده التلويحُ بالوداع بياضاً.

من هو مثلُكِ ومثل كل الحمامِ يستقي من العتمةِ ليلَ نَهار،
ينقر حدقة عينَيْ قبل أن تنقدح،
ينزع العشب من حاجبيّ قبل أن يشيبا،
يَصفِق البابَ في الغيومِ قبل أن أسقط.

من هو مثلك ومثل كل القرنفلات يطلب الدمَ دراهمَ والموتَ خمراً،
ينفخ الزجاج ليسوِّي منه في راحتيَّ كأسَه،
يُلوِّنه بالكلمة التي لم أتلفظ بها، أحمرَ
يحطمه بحجر الدموع البعيدة.

## لأمــة الجــرح

فارقنا النوم: ممددين في دواليب ساعةِ الكآبة
نلوي العقارب مثل الكرابيـج،
فتنقلب إلى الوراء وتجلد الوقتَ حتى الدم،
وكنت أنت تكلِّمين المغارب العريضة،
وإثنتا عشرة مرة قلتُ «أنتِ» لليلة كلماتك،
فشفَّت وبقيت شافة،
فاودعتُ صدرَها عيناً وشَكَلْتُ الأخرى إلى شعركِ
وشددتُ بينهما خصلةَ النار، مجرد العِرْق ـ
فجاء برقٌ فتيٌّ سابحاً.

من ينتزع قلبه من صدره ليلاً، يطالع بيده الوردة.
الشوكة والورقة له.
تجعل النورَ في صحنه،
تملأ أقداحه بالأنفاس،
وترِفُّ من أجله ظلالُ الهوى.

من ينتزع قلبه من صدره ليلاً، ويفتله إلى السماء:
لا يخطىء التسديد أبداً،
يرجم الحجرَ،
من أجله يدق دم ساعة الحائط،
ويغلب الوقتُ المدةَ في يده،
فيسعه اللعبُ بكراتٍ أجمل
والتحدثُ عنكِ وعني.

## بلــور

لا تلتمسْ فمَك عند شفتيّ،
ولا الغريبَ عند الباب،
ولا عند العين الدموعَ.

من فوق سبع ليال يروح الأحمر إلى الأحمر،
من قرار سبعة قلوب تطرق اليد البوابة،
من بعد سبع ورود النبعُ تمتمات.

# قميص الموتى

إلى كلاوس ديموس

نسجتَ من الخفة بُرْدا
ألبسه لمجد الحجر.
وحين أوقظ في العتمة
الصرخاتِ، بنَفَسِه يلامسها.

غالباً، إذ أجمجم
يرمي ثنايا منسيةً
والذي أنا هو يصفح
للذي كُنْتُه.

إلا أن إله الجبل
يضرب أكثر طبوله خفوتاً
وحين سقطت الثَّنِيَّة
قطَّبتِ القاتمةُ حاجبها.

## في الفلاة

باريس، القويرب، رمت مرساتها في كوب:
هكذا أقتسم زادكِ، أشرب نخبك.
اشرب حتى يروحَ قلبـيَ هذا يَتَغَتَّم بين يديك،
حتى تعومَ باريس في دمعه،
حتى تُبْحِرَ إلى الشراع النائي الذي يحجب العالَمَ حيثُ كل أنتِ غصنٌ
أتدلى منه مثلما ورقةٌ في الريـح صامتة.

أنا وحدي، أضـع وردة الرماد
في الكوب المليء بالأسود المُنْضَج. أيها الفم الشقيق،
تقول كلمة تروح حياتها بعد إلى النوافذ،
يتسلقني ما حلمت به من غير حس.

ألبس حداد الساعة الذاوية
وأدَّخر الدبقَ للطير المتأخر:
يحمل الثلـج على ريشه الأحمر حمرةَ الحياة؛
مـع حبة جليد في طرف منقاره، يجتاز الصيف.

## الأبــاريــق

على طاولات الزمن المديدة
ترتوي أباريق الله.
تشرب حتى الثمالة عيونَ المبصرين وعيون العميان،
قلوب الظلال المالكة،
خدَّ المساء الفاغر.
يشربن حرائرَ
يرفعن إلى أفواههن الفراغ والامتلاء جميعاً
لا يَفِضْنَ مثلَك، مثلي.

في الليل إذ يتأرجح رقّاص الحُبّ
بين إلى قيام الساعة وبين أبداً،
كلمتك تطرق أقمارَ القلب
وعينُك الزرقاء زرقةَ الاعصار
تَهِبُ السماءَ إلى الأرض.

آتية من بعيد، آتية من الغوطة
سوَّدها الحلم، تلفحنا الأنفاسُ
والسائبةُ تخبط كبيرةً مثل أطياف الآتي.

ما يَهوي ويرتفع الآن
يَهِمُّ المواري بعيداً:
ضريراً كالنظرة التي نتبادل،
يقبِّل شفتي الزمن.

نَمْ، سأَبقى عينيَّ مفتحتين
المطرةُ ملأت الإبريق، فأفرغناه
الليلُ يُنبِت قلباً والقلبُ قشةً ــ
إلا أن وقت الحصاد فات، أيتها الحاصدة.

يا ريحَ الليل، شعركَ أبيض مثل الثلج!
أبيض ما يدوم لي، أبيض ما أخسر!
هي تعد الساعات وأنا أعد السنوات.
شربنا المطرة. المطرة شربناها.

إلى هذا صرتِ إذن
كما لم أعرفك يوماً:
قلبك يدق من كل الجهات
في بلد ينابيع،

حيث لا يَرِدُ فَمٌ،
وحيث لا يحدَّ الظلال حد،
حيث يُتَوَهَّم الماء منبجساً
وحيث الوهم يحبحب كالماء.

تنزلين كل الآبار،
تَطْفين خَلَلَ كل بارق.
توهمتِ شِرْكاً
يطلب لنفسه النسيان.

## القلعــة

أعرف البيتَ الأبعدَ مساءً: عين أعمق بكثير من عينك تفحص الأفق.
في أعلى الصارية عَلَم الأحزان الكبير تأخذه الريـح :
قماشُه الأخضر ـ حِكْتِهِ وفاتكِ أنك من حاكه.
وهو يخفق عالياً، فكأنك لست أنت من حاك.
الكلمة التي استأذنتها السفرَ جاءت ترحب بك عند الباب.
وما لامسك هنا، قلبٌ وزهرة،
منذ أمد هو ضيفُ هناك ولن يلامسك بعد.
لكنك في هذا البيت تروحين إلى المرآة،
فيتأَمَّلْنَك الثلاثُ، الزهرةُ والقلبُ والسنبلة.
وتلك العين الأعمق تشرب عينك العميقة.

أنصع اليمامات بياضاً تبتديء طيرانها: فيسعني أن أحبك!
عند النافذة الخفيفة يترنح الباب الخفيف.
دخلت الشجرةُ الصامتة في الغرفة الصامتة.
وأنت القريبة فكأن مقامك هنا لن يطول.

من يديَّ تأخذين الوردة الكبيرة:
ليست بيضاء ولا حمراء ولا زرقاء ــ لكنك تأخذينها.
حيث أبدا لم تكن الوردة، دوماً تبقى.
لم نكن أبداً: لذا بقاؤنا قربَها.

# سنابـل الليـل

## نـوم وزاد

أنفاس الليل ملاءتك والعتمة ترقد لصقك.
تجس كاحلَك وصدغك، توقظك لتحيا وتنام،
تطلب أَثَرك في الكلمات، في التمنيات، في الخاطرات،
تبيت عند كل واحدة منها وتأخذك.
من أهدابك تلتقط الملحَ وتُقَرِّبه لك،
تترصد رملَ أوقاتك وتقدمه لك هَذْياً.
ومما كانت إذ كانت وردة، ظلاًّ وماءً،
تبلّ عطشك.

## رفيـق الدرب

روح أمك تخفق أمامك.
روح أمك تعينك على تنكب الليل، مفازة بعد مفازة.
روح أمك تجلد الحيتان على مرأى منك.

هذه الكلمة، أمك آوتها.
هذه الكلمة التي آوتها أمك تشاركك الفراش، حجراً بعد حجر.
الكلمة التي آوتها أمك تميل على فتات النور.

العينـان:

لامعتان من المطر الذي كان يجري سيولاً،

إذ أمرني الله أن أشرب.

العينـان:

الذهب، الذي عدَّه الليل في يَديّ،

إذ قطفت العوسـجَ

إذ حرثت ظلال الآيات.

العينـان:

مساءٌ نشر ضَـوْءه فوقي إذ شرَّعتُ الباب.

وخَدِراً من الجليد في فودَيَّ، خَبّْتُ في كل خيام الأبدية.

## الأبـديــة

لِحاءُ شجرةِ الليل، مُدىً مولودةٌ في الصدأ
تهمس لكِ الأسماءَ والزمن والقلوب.
كلمة كانت نائمة حين سمعناها
تتسلل بين الأوراق:
سوف يكون الخريف مهذاراً،
وأكثرَ منه اليدُ التي تلمه،
وطرياً مثل خشخاش النسيان الفمُ الذي يقبِّله.

# جَــزْر

أيتها الساعة تطيرين بين النُّجود.

زمن الرمل الناعم يغني بين ذراعيّ:
أنا ممد لصقه، في يميني سكين.

تجعّدي يا موجة! واظهري من غير وجل، يا سمكة!
حيث الماءُ، يسـع المرءُ أن يحيا مرةً أخرى،
مرة أخرى، متوارداً مـع الموت، يسعه أن يستذكر العالَـمَ في النشيد،
أن يدعو مرة أخرى من الدرب الفاغر: انظروا،
نحن فـي حِمـىً،
انظروا، الأرض كانت لنا، انظروا،
كيف اعترضنا طريق النجمة!

من القلوب والرؤوس
تَتَفَطَّر سنابلُ الليل،
وكلمةٌ قالتها المناجلُ
تُميلُها على الحياة.

مِثْلَها خُـرُساً
نرفرف صوب العالم:
نظراتنا،
نتبادلها طلباً للعزاء.
تترجَّـح،
تلوح أمامنا بعلامات قاتمة.

من غير نظر
عينُكِ تسكت في عيني الآن
أروح
أرفـع قلبَكِ إلى شفتيَّ
ترفعين قلبـي إلى شفتيك:
ما نشربه الآن
يُسَكِّنُ ظمأ السـاعات؛
ما نحن الآن
تُشْرِبُهُ السـاعاتُ الزمنَ.

هل نطيب له؟
لاجلبة تتسلل بيننا فتجيب
ولا ضـوء.

آه السنابل، أنتُنَّ السنابل.
أنتن سنابل الليل.

أيها القلب البدوي، السّهبُ يُرْفَعُ لكَ مدينةً
وسط الشموع والساعات،
تنتصب
مع الصنفصافات حتى المستنقعات:
في الليل يُخَلِّصُ الناي هناك
صديقاً لصمته،
يبرزه للحياة.
على طول الضفة
تروح الفكرة وراء القناع تترصَّد:
إذ لا شيء
يظهر على ما هو،
والكلمة التي تبرق فوقَك
تؤمن بالخنفسة في الخزامى.

تمسِّد شعرَها كما تُمَسَّد شعور الأموات:
تأتزر بشظية الزجاج الزرقاء تحت قميصها.

تحمل شظية العالم الزجاجية في طرف حبل.
تعلم الكلمة علم الثقة لكن بُلْغَتُها الابتسام.

تمزج ابتسامَتها بخمر الزق
إن أنتَ شَرِبْتَ منه حَضَرْتَ العالم.

أنت الصورةُ التي تصوِّرها لها شظيةُ الزجاج
إذ تنثني مستغرقةً على الحياة.

على إعماءِ الكلماتِ لكِ
تستخرجينها من الليل
الشجرةَ التي يزهر ظِلُّها قبل أوانه:
يدركها الجفن من رماد على جناح الطائر، عينُ الأخت
حاكت الثلجَ تحتها أفكاراً ـ

الآن تكفي الأوراقُ
لتنسُّم أنفاسِ الريح والأثر.
والأنجمُ، أكداساً،
تستوي الآن في مرآة الزمن.

ضع قدمك في المعجن، أُنْصُبِ الخيمة:
هي الأختُ، تتبعك من شق الجفنين
يُآكلكما خبزَهُ ترحاباً
ويأخذ كأسه منكما.

وأنتما تسكبان الأفاوية في خمره.

## منظـــر

أنت أيتها الصفصفات الكبيرة ــ يا رجالَ هذه الدنيا!
أنت يا مستنقعاتِ السعادةِ السوداءَ ــ تصير بهم مرآتكِ إلى الموت!

رأيتك، يا أختُ مستويةً في هذا البهاء.

## الصمـــت!

الصمت! أغرزُ الشوكةَ في قلبِكِ
لأن الوردة، الوردة
قائمة حيال المرآة بين الظلال، هي تنزف!
كانت تنزف مذ كنا نمزج نعم بلا،
إذ كنا نتجرعها جرعاتٍ
لأن قدحاً رُمي من الطاولة، رنَّ:
أنذَر بليلةٍ دجاها أطولُ من دجانا.

شربنا والشفاهُ منّا شرهة:
فإذا طعمه المِرَّة
وبرغم ذلك كان يحبحب كالنبيذ ـ
تَبِعتُ شعاعَ عينيكِ
وكان اللسان يتهجّى لنا لطائفَ. . .
(كذلك تهجِّيه، كذلك تهجيه بعدُ.)

الصمت! راحت الشوكة أبعدَ في قلبكِ:
هي والوردة متعاهدتان.

## مـــاء ونـــار

هكذا إذاً رميتُكِ في البرج وقلت كلمةً لشجراتِ البان
فَشَرَّتْ نارٌ منها، فَصَّلَتْ على قدِّك ثوب عرس:

نيِّر هذا الليل،
نيِّر هذا الليل الذي وَجَدَ لنا قلوباً.
نيِّر هذا الليل!

إنه يلتمـع بعيداً فوق البحر،
يوقظ الأقمار عند المضيق ويرفعها على موائد مُزبِدة،
ينضـح عنها الزمن:
أيتها الفضة الميتة، قومي، صيري، قِدْراً وقصعة، مثلَ الأصداف!

المائدة تجري جري الساعات،
الريـح تملأ الكؤوس،
البحر يلفظ الأطعمة:
العين الأَفّاقة، الأذن العاصفة،
السمكة والأفعى —

المائدة تجري جري الليالي
وألويةُ الشعوب تجري فوقي
والرجالُ، قريباً مني، يُزْجون النعوشَ إلى البرِّ بمجاذيفهم،
وكان تحتي سماءٌ، وكان الوقتُ نجوماً في داري يوم القديس يوحنا!

وأنظر إليك،
مشتعلةً شمساً:
تذكري آن كان الليل يصعد معنا الجبل،
تذكري أنني كنت من أنا الآن،
مُقَدَّمُ المطامير والبروج،
نَسَماً في شجرات البان، شَرْباً في البحر،
كلمةً تهوين فيها شهاباً.

عدّي اللوزات،
عدّي ما كان مُرّاً وأقامك يَقِظَةً
عدّيني فيها:

التمستُ عينيك: إذ فتحتِها، من غير أحدٍ يراك،
نسجتُ هذا الخيط الخفيّ،
الذي انحدر عليه حتى الأباريق ندى حِسْبانِكِ
يحفظها مَثَلٌ لم يخطر في قلب أحد.

هناك فحسب دخلتِ كُلُّكِ في الاسم الذي يُسَمِّيك
قدمتِ إلى نَفْسِكِ بخطو ثابت،
حرةً، انطلقت المطارقُ في برج صمتك،
ما اعتُرِضَ من القول اتفاقاً التقاك
ما هو ميتٌ لفَّكِ أنتِ أيضاً في ذراعه
وذهبتم ثلاثة في السماء.

اجعليني مُرّاً.
عدّيني في اللوزات.

| | | |
|---|---|---|
| **DER SAND AUS DEN URNEN**<br>**LE SABLE DES URNES** | ٤ | **رمل أوعية الرماد** |
| Ein Lied in der Wüste<br>Une chanson dans le désert | ٥ | أغنية في الصحراء |
| Nachts ist dein Leib<br>La nuit ton crops | ٦ | جسمك في الليل |
| Umsonst malst du Herzen<br>C'est pour rien que tu dessines | ٧ | لا من أجل شيء |
| Marianne<br>Marianne | ٨ | ماريان |
| Talglicht<br>Lumière de suif | ٩ | نور الشحم |
| Die Hand voller Stunden<br>La main pleine d'heures | ١٠ | اليد مليئة بالأوقات |
| Halbe Nacht<br>Moitié de nuit | ١١ | نصف ليل |
| Dein Haar überm Meer<br>Tes cheveux sur la mer | ١٢ | شعرك على البحر |
| Espenbaum<br>Tremble | ١٣ | أيتها الحورة |
| Aschenkraut<br>Cinéraire | ١٤ | مرمدة |
| Das Geheimnis der Farne<br>Le secret des fougères | ١٥ | سر العرعر |
| Der Sand aus den Urnen<br>Le sable des urnes | ١٦ | رمل أوعية الرماد |
| Die letzte Fahne<br>Le dernier étendard | ١٧ | اللواء الأخير |
| Ein Knirschen von eisernen Schuhn<br>Des souliers de fer crissent | ١٨ | تصرّ أحذية من حديد |
| Das Gastmahl<br>Le festin | ١٩ | الوليمة |
| Dunkles Aug im september<br>Oeil sombre en septembre | ٢٠ | عين قاتمة في أيلول |
| Der Stein aus dem Meer<br>La pierre de mer | ٢١ | حجر البحر |
| Erinnerung aus Frankreich<br>Souvenir de France | ٢٢ | ذكرى من فرنسا |
| Chanson einer Dame im Schatten<br>Chanson d'une dame dans l'ombre | ٢٣ | أغنية سيدة في الظل |
| Nachtstrahl<br>Rayon de nuit | ٢٥ | شعاع ليل |
| Die Jahre von dir zu mir<br>Les annés de toi à moi | ٢٦ | السنوات منك إليّ |
| Lob der Ferne<br>Louange du lointain | ٢٧ | مديح النائي |
| Das ganze Leben<br>Toute la vie | ٢٨ | الحياة كلها |
| Spät und tief<br>Tard et profond | ٢٩ | متأخراً وعميقاً |
| Corona<br>Corona | ٣١ | كورونا |

| | | |
|---|---|---|
| **TODESFUGE**<br>**FUGE DE MORT** | ٣٢ | **إيقاع الموت الهارب** |
| Schwarze Milch der Frühe<br>Lait noir de l'aube | ٣٣ | حليب الفجر الأسود |
| **GEGENLICHT**<br>**CONTRE-JOUR** | ٣٦ | **تنكب الضوء** |
| Auf Reisen<br>En voyage | ٣٧ | في الرحلة |
| In Ägypten<br>En Egypte | ٣٨ | في مصر |
| Ins Nebelhorn<br>Dans la corne de brume | ٣٩ | في قرن الضباب |
| Vom blau<br>Au bleu | ٤٠ | من الأزرق |
| Wer wie du<br>Celui qui comme toi | ٤١ | من هو مثلك |
| Brandmal<br>Cicatrice | ٤٢ | لأمة الجرح |
| Wer sein Herz<br>Celui qui arrache son coeur | ٤٣ | من ينتزع قلبه |
| Kristall<br>Cristal | ٤٤ | بلــور |
| Totenhemd<br>La chemise des morts | ٤٥ | قميص الموتى |
| Auf hoher See<br>Au large | ٤٦ | في الفلاة |
| Ich bin allein<br>Je suis seul | ٤٧ | أنا وحدي |
| Die Krüge<br>Les cruches | ٤٨ | الأبـاريق |
| Nachts, wenn das Pendel<br>La nuit, quand s'en va | ٤٩ | في الليل إذ يتأرجح رقّاص الحب |
| So schlafe<br>Dors | ٥٠ | نــم |
| So bist du denn geworden<br>Ainsi tu es devenue telle | ٥١ | إلى هذا صرت إذن |
| Die feste Burg<br>La citadelle | ٥٢ | القلعـة |
| Der Tauben weisseste<br>La plus blanche d'entre les colombes | ٥٣ | أنصـع اليمامات بياضاً |
| **HALME DER NACHT**<br>**EPIS DE LA NUIT** | ٥٤ | **سنابل الليل** |
| Schlaf und Speise<br>Sommeil et repas | ٥٥ | نوم وزاد |
| Der Reisekamerad<br>Le compagnon de route | ٥٦ | رفيق الدرب |
| Augen<br>Les yeux | ٥٧ | العينان |

| | | |
|---|---|---|
| Die Ewigkeit<br>L'éternité | ٥٨ | الأبدية |
| Brandung<br>Ressac | ٥٩ | جــزر |
| Aus Herzen und Hirnen<br>Les épis de la nuit | ٦٠ | من القلوب والرؤوس |
| Unstetes Herz<br>Coeur nomade | ٦٢ | أيها القلب البدوي |
| Sie kämmt ihr Haar<br>Elle arrange ses cheveux | ٦٣ | تمسّد شعرها |
| Da du geblendet von Worten<br>Aveuglée par l'éclat des mots | ٦٤ | على إعماء الكلمات لك |
| Landschaft<br>Paysage | ٦٥ | منظـر |
| Stille!<br>Silence! | ٦٦ | الصمـت! |
| Wasser und Feuer<br>Eau et feu | ٦٧ | ماء ونار |
| Zähle die Mandeln<br>Compte les amandes | ٦٩ | عدّي اللوزات |

كـان فـراغ أبجـد غـرافيكس من
صناعـة هـذا الكتـاب في الحـادي
والثـلاثـين من كـانـون الأول ١٩٨٩

PAUL CELAN

# MOHN UND GEDÄCHTNIS

## PAVOT ET MÉMOIRE



دار الجديد